الطريق إلى حسن الخاتمة

جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع	٣٧٠٣/ ٢٠٠١

تطلب منشوراتنا من

دار فجر الإسلام

ميدان الشون - المحلة الكبرى ٠١٢/٣٧٥٢٨٣٣

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٣٧٨٧٤

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن

ت: ٥٤٦٧٨٠٢

الشركة الفنية للطباعة ت :7771039

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.. أما بعد:

أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

الناس صنفان: صنف مُقرَّب مُصَانٌ، وصنفٌ مُبعَدٌ مُهانٌ، صنف نُصبت له الأسرّة والحجالُ، وجُمعت له الرغائب، والآمال والأرائك والكلَال، وصنف أُعدت له الأراقم والصلال والمقامع والأغلال وضروب الأهوال.

وإن عمر الإنسان هو كنزه الحقيقى الذى لا يستطيع أن يعوضّه إن ضاع فى معصية الله (جل وعلا) ولا يستطيع أن يتدارك ساعاته إن قصَّر فى طاعة الله (جل وعلا). ولذلك فالعاقل هو الذى يعلم يقينًا أنه مسافر إلى ربه (عز وجل) وسيقف بين يديه ليسأله عن كل لحظة عاشها فى هذه الحياة الدنيا... فيكون ذلك حاديًا لأن يُقبل على الله بقلبه وجوارحه

ليزداد طاعة لله وقُربًا من الله (جل وعلا).

وهو مع ذلك يعلم يقينًا أن العبرة بالخاتمة التى هى محض فضل الله عليه، فلا يغتر بعمله الصالح.

فقد قيل: لا تبت وأنت مسرور حتى تعلم عاقبة الأمور.

وقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها...».

* قال النووى (رحمه الله): والمراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخول عقبه، وأن تلك الدار ما بقى بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقى بينه وبين موضع من الأرض ذراع، والمراد بهذا الحديث: أن هذا قد يقع فى نادر من الناس، لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير فى كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففى غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: «إن رحمتى سبقت غضبى، وغلبت غضبى» (متفق عليه).

وعن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: «من أحبَّ لقاء

الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيءٌ أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه» (أخرجه البخاري).

ومن هنا كادت قلوب العارفين أن تتقطع خوفًا من سوء الخاتمة وشوقًا لحُسن الخاتمة فاستقاموا لله جل وعلا بالأقوال والأعمال لتستقيم لهم الأحوال عند انقطاع الآجال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف: ١٣).

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة لنتعرف على أسباب حُسن الخاتمة والطريق إليها عسى الله أن يُحسن خاتمتنا.

فقد قال (جل وعلا): ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

وقال ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه»

(السلسلة الصحيحة: ٢٨٣)

فنسأل الله (جل وعلا) أن يوفقنا لطاعته وأن يستعملنا ويستخدمنا لنُصرة دينه، وأن نلقاه على ذلك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

محمود المصرى

(أبو عمار)

علامات حُسن الخاتمة

قال الشيخ الألبانى فى «أحكام الجنائز» - سنذكر كلام الشيخ مختصرًا وسنزيد عليه بإذن الله.

«إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بيِّنات يُستدل بها على حُسن الخاتمة، كتبها الله تعالى لنا بفضله ومَنِّه، فأيما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

● **الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت:**

قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»

(حسنه الألبانى فى الإرواء: ٦٨٦)

❊ وعن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال: «رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً فقال: مالك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فلان؟ قال: لا (وأثنى على أبى بكر) إلا أنى سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا ما منعنى أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات سمعته يقول: إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَّس الله عنه كربته، فقال عمر: إنى لأعلم ما هى: قال: وما هى؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله؟ قال طلحة:

صدقت، هي والله هي (رواه أحمد بإسناد صحيح).

● **الثانية: الموت برشح الجبين:**

لحديث بريدة بن الخطيب رضى الله عنه: أنه كان بخراسان فعاد أخًا له وهو مريض فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه فقال الله أكبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «موت المؤمن بعرق الجبين..» (رواه أحمد بإسناد حسن).

● **الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:**

لقوله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر...» (صحيح الجامع: ٥٧٧٣).

● **الرابعة: الاستشهاد فى ساحة القتال:**

قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٩: ١٧١).

وقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبعُ خصالٍ: يُغفرُ له فى أول

دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حُلة الإيمان، ويُزوجُ اثنين وسبعين زوجةً من الحور العين، ويُجارُ من عذاب القبرِ، ويأمنُ من الفزع الأكبر، ويُوضعُ على رأسه تاجُ الوقارِ، الياقوتة منهُ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويشفعُ فى سبعين إنسانًا من أهلِ بيته» (صحيح الجامع: ٥١٨٢).

* وعن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما بال المؤمنين يُفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة» (صحيح الجامع: ٤٤٨٣).

* قال الشيخ الألبانى (رحمه الله):

(تنبيه): ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لمْ يتيسر له الاستشهاد فى المعركة، بدليل قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

• **الخامسة والسادسة والسابعة:**

من صرع عن دابته فى سبيل الله ومن وقصه بعيره ومن لدغته هامة وهو فى سبيل الله:

* عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن صُرِع عن دابته فهو شهيد» (صحيح الجامع: ٦٣٣٦).

* عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فصل فى سبيل الله فمات، أو قُتل، أو وَقَصَتْه فرسُه أو بعيرُه، أو لدغته هامةٌ، أو مات على فراشه، بأىّ حتف شاء الله، فإنه شهيد، وإن له الجنة» (صحيح الجامع: ٦٤١٣).

* قال المناوى فى «فيض القدير» (٦/ ١٦٣):

و«من صُرع عن دابته» فى سبيل الله فمات «فهو شهيد» أى: من شهداء المعركة إن كان سقوطه بسبب القتال، وعلى ذلك ترجم البخارى (باب فضل من صُرع فى سبيل الله فمات فهو منهم)، أى: من المجاهدين، فلمّا كان الحديث ليس على شرطه، أشار إليه بالترجمة، وفى الباب ما رواه أبو داود، والحاكم، والطبرانى عن أبى مالك الأشعرى مرفوعًا. والصرع، كما فى القاموس وغيره: الطَّرْح على الأرض، وعلةٌ معروفة، والمراد: بالحديث السقوط عن الدابة حال قتال الكفار بسبب أى وجه كان؛ إما بطرح الدابة له، أو بعروض تلك العلَّة فى تلك الحالة عروضًا ناشئًا عن القتال، كأن أورثه شدة الانفعال».

• الثامنة : من سأل الله الشهادة بصدق ومات على ذلك:

قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل

الشهداء، وإن مات على فراشه» (أخرجه مسلم).

* وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل الله القتل فى سبيل الله، صادقًا من قلبه، أعطاه الله أجر شهيد، وإن مات على فراشه»
(صحيح الجامع: ٦٢٧٧)

• **التاسعة والعاشرة : المائد فى البحر والغريق :**

المائد هو الذى يموت بسبب دوار البحر فله أجر شهيد.

* عن أم حرام رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «للمائد أجرُ شهيد، وللغريقِ أجرُ شهيدين»
(صحيح الجامع: ٥١٨٧)

* وعن أم حرام رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «المائدُ فى البحر الذى يُصيبه القىءُ له أجرُ شهيدٍ، والغريق له أجر شهيدين» (صحيح الجامع: ٦٦٤٢).

• **الحادية عشر : من افترسه السبع :**

* عن ابن قانع، عن ربيع الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطَّعن والطاعون والهدم، وأكل السبع، والغرق، والحرق، والبطن، وذات الجنب - شهادةٌ»
(صحيح الجامع: ٣٩٥٣)

• **الثانية عشر: الشريق:**

قال ابن الأثير فى «النهاية»: هو الذى يشرق بالماء فيموت.

قال ابن حجر فى «الفتح» (٦/ ٥٢): «وللطبرانى من حديث ابن عباس مرفوعًا: «المرء يموت على فراشه فى سبيل الله شهيد». وقال ذلك أيضًا فى المبطون واللديغ والغريق والشريق والذى يفترسه السبع، والخارّ عن دابته، وصاحب الهدم، وذات الجنب».

• **الثالثة عشر: القابض على دينه فى وقت الفتن:**

* عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ورائكم زمانَ صبر، للمتمسك فيه أجرُ خمسين شهيدًا منكم» (صحيح الجامع: ٢٢٣٤).

* وعن عتبة بن غزوان، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من ورائكم أيامَ الصبر، للمتمسك فيهنَّ يومئذ بما أنتم عليه، أجرُ خمسين منكم». قالوا: يا نبى الله، أو منهم؟ قال: «بل منكم»

(السلسلة الصحيحة: ٤٩٤)

• **الرابعة عشر: من تردَّى من رؤوس الجبال:**

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «إن من يتردَّى من

رؤوس الجبال وتأكله السباع ويغرق فى البحار لشهيدٌ عند الله» (قال الحافظ فى الفتح: ٦/ ٥٢ إسناده صحيح).

* قلت: وذلك لمن مات على التوحيد، أما من مات على الشرك فلا يكون شهيدًا ولا يرزقه الله نعمة الشهادة.

• الخامسة عشر : المرابط فى سبيل الله :

* لقوله ﷺ: «الرباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله، وأُجرى عليه رزقه، وأمِن الفتان» (أخرجه مسلم).

* ولقوله ﷺ: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله فإنه يُنمَّى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر» (صحيح الجامع: ٤٥٦٢).

• السادسة عشر : من قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله:

قال رسول الله ﷺ: «سيِّدُ الشهداء: حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ، فأمره ونهاه. فقتله»

(صحيح الجامع: ٣٦٧٥)

• **السابعة عشر: الموت على عمل صالح:**

قال ﷺ: «**من خُتم له بصيام يومٍ دخل الجنة**»

(صحيح الجامع: ٦٢٢٤)

وقال ﷺ: «... **ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة**» (رواه أحمد بإسنادٍ صحيح).

وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**»، **قيل**: **كيف يستعمله**؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه**» (صحيح الجامع: ٣٠٥).

• **الثامنة عشر: من دعا بدعاء يونس (عليه السلام) أربعين مرة في مرضه:**

﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ (الأنبياء: ٨٧). إنه دعاء نبي الله يونس (عليه السلام).

قال رسول الله ﷺ: «**أيّما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة، فمات في مرضه ذلك، أُعطي أجر شهيد، وإن برأ، برأ وقد غُفر له جميع ذنوبه**» (رواه الحاكم بإسناد صحيح).

• **التاسعة عشر: الموت بالطاعون:**

قال ﷺ: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**» (أخرجه البخاري).

* وعن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها نبي الله ﷺ: «أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد» (أخرجه البخارى).

• العشرون: الموت بالهدم:

قال ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله» (متفق عليه).

• الحادية والعشرون: الموت بداء البطن:

* لقول رسول الله ﷺ: «... ومن مات في البطن فهو شهيد» (أخرجه مسلم).

* وعن عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفى، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهم للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره».

فقال الآخر: بلى، وفي رواية: «صدقت»

(رواه النسائي بإسناد صحيح).

• **الثانية والعشرون : المرأة تموت فى نفاسها بسبب ولدها:**

❊ عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة قال: فما تحوز له عن فراشه فقال: «أتدرى من شهداء أُمَّتى؟»، قالوا: قتل المسلم شهادة قال: «إن شهداء أمتى إذًا لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة (يجرها ولدها بسرره إلى الجنة)»

(رواه أحمد بإسناد صحيح)

• **الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون:**

الموت بالحرق وذات الجنب:

قال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذى يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة» (رواه الحاكم بإسناد صحيح).

• **الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون والسابعة والعشرون: الموت فى سبيل الدفاع عن الدين والنفس والأهل:**

لقوله ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه

فهو شهيد» (رواه أبو داود بإسناد صحيح).

* وقال رسول الله ﷺ: «من قُتل دون مظلمته فهو شهيد» (رواه أحمد بإسناد صحيح)

• الثامنة والعشرون: الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه:

قال ﷺ: «من قُتل دون ماله» - وفي رواية: «من أريد ماله بغير حق فقاتل فقُتل فهو شهيد» (أخرجه البخاري).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجلٌ يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني، قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟، قال: «هو في النار» (أخرجه مسلم).

* وعن مخارق رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: «ذكِّرهُ بالله»، قال: فإن لم يذكر؟ قال: «فاستعن عليه من حولك من المسلمَين». قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: «فاستعن عليه السلطان». قال: فإن نأى السلطان عني (وعجل عليَّ؟) قال: «قاتل دون

مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك» (رواه النسائى بإسناد صحيح) - أى تحمى مالك -.

• **التاسعة والعشرون : الموت غازيًا فى سبيل الله :**

لقوله ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟»، قالوا: يا رسول الله من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتى إذًا قليلٌ»، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتل فى سبيل الله فهو شهيدٌ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد، والغريق شهيد..» (أخرجه مسلم).

• **الثلاثون : الموت بداء السل :**

قال ﷺ: «القتل فى سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة، والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة» (صحيح الجامع: ٤٤٣٨)

• **الحادية والثلاثون: الموت بالمدينة المنورة :**

* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنى أشفع لمن يموت بها» (صحيح الجامع: ٥٨٥٤).

* فاللهم ارزقنا شهادةً فى سبيلك وأن نُدفن فى بلد حبيبك ﷺ

أسباب حسن الخاتمة

إقامة التوحيد لله (جل وعلا):

إن أمر العقيدة ليس أمرًا ثانويًا حتى نؤجله أو نؤخره، بل هو الأساس الذى يقوم عليه الدين كله... فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل الله من قومٍ شريعتهم حتى تصحَّ عقيدتهم.

قال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حقُ والنارَ حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» (متفق عليه).

وفى حديث عتبان بن مالك «فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله» (متفق عليه).

وقوله: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» قال الحافظ: معنى قوله: «على ما كان من العمل» أى من صلاح أو فساد؛ لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة على حسب أعمال كل

منهم في الدرجات.

* قال ﷺ: «المسلم إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾» (متفق عليه).

فيا عبد الله أقم التوحيد لله في قلبك فإنك سوف تجني ثمراته في حياتك وعند موتك وفي قبرك ويوم حشرك وسيقودك التوحيد لله جل وعلا إلى جنات النعيم وإلى رضوان الله (سبحانه وتعالى).

التقوى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢). وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(البقرة:١٩٧)

فالتقوى من أعظم الأسباب التي تقود المؤمن إلى حُسن الخاتمة.

فهي سبب لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(الأنفال: ٢٩)

وهى سبب لقبول الأعمال.. قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (المائدة: ٢٧).

وهى سبب للخروج من كل ضيق كما قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢، ٣)، ولا شك أن العبد عند السكرات يكون فى ضيق وشدة فتكون التقوى سببًا لنجاته.

والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن.. قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا﴾ (الطلاق:٤).

والتقوى سبب للنجاة من المهالك.. قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٧١، ٧٢).

وهى سبب لدخول الجنة.. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم: ٦٣).

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: (وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه). اهـ.

وقال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله».

* وجاء سائل لأبي هريرة رضي الله عنه يسأله عن التقوى فقال أبو هريرة: «هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال السائل: نعم، قال أبو هريرة: فكيف صنعت؟ قال السائل: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه.

قال أبو هريرة: ذاك التقوى.

فأخذ ابن المعتز هذا المعنى الكبير وترجمه في هذه الأبيات المعبرة فقال:

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التُّقى

واصنـــع كمـــاشٍ فـــوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقـــرن صغـــيرة إن الجبـــال مـــن الحصـــى

* وحد التقوى الذى حده عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ قال: «أن يطاع الله - سبحانه وتعالى - فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر».

الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف: ١٣، ١٤).

* وفى صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه،

قال: قلت: يا رسول الله، قل لى فى الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «قل: آمنتُ بالله. ثم استقم».

فالاستقامة كلمةٌ جامعة، آخذةٌ بمجامع الدّين، وهى القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

ولقد سُئل صدِّيق الأُمة وأعظمها استقامةُ - أبو بكر الصديق رضى الله عنه - عن الاستقامة، فقال: أن لا تشرك بالله شيئًا. فأراد بها الاستقامة على مَحْضِ التوحيد.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهى، ولا تروغ روغان الثعالب.

وقال ابن تيمية (رحمه الله): أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

وقال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربُّك يطالبك بالاستقامة.

فالاستقامة تتعلَّق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

* قال أبو إسحاق السبيعى: «لما احتُضِر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: لا تبكوا علىَّ، فإنى لم أتنطَّف

بخطيئة منذ أسلمت».

لله درُّه، ثنتا عشرة سنة لم يفعل خطيئة، وحياتُه كلُّها طاعة.

«كان يصلِّى فى الصيف نصف النهار حتى تُكره الصلاة، ثم يصلِّى من الظهر إلى العصر».

• **وهيب بن الورد (رحمه الله):**

كان سفيان الثورىّ إذا حدّث الناس فى المسجد الحرام وفرغ من الحديث، قال: قوموا إلى الطبيب؛ يعنى: وهيبًا.

قال وهيب رحمه الله: إن استطعتَ أن لا يشغلك عن الله تعالى أحدٌ، فافعل.

وعن محمد بن يزيد قال: حَلَف وهيب أن لا يراه الله ولا أحدٌ من خلقه ضاحكًا، حتى يأتيه الرسل من قبَل الله عند الموت فيخبرونه بمنزله عند الله. قال: وكانوا يرون له الرؤيا أنه من أهل الجنة، فإذا أُخبر بها اشتدَّ بكاؤه، وقال: قد حسبتُ أن يكون هذا من الشيطان.

عن عبد الله بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد: أيجدُ طعم العبادة من يعصى الله؟ قال: لا، ولا مَن همَّ بمعصية.

وقال رحمه الله: لا يكون همُّ أحدكم فى كثرة العمل، ولكن

ليكن همُّه فى إحكامه وتحسينه؛ فإن العبد قد يصلِّى وهو يعصى الله فى صلاته، وقد يصوم وهو يعصى الله فى صيامه.

• أبو الطيب الطبرى (رحمه الله):

اشتهر اسمه، فملأ الأقطار. وشاع ذكره، فكان أكثر حديث السمَّار. وطاب ثناؤه، فكان أحسن من مِسْك الليل وكافور النهار.

«قال القاضى أبو بكر الشامى: قلت للقاضى أبى الطيب شيخنا - وقد عُمِّر -: لقد مُتِّعْتَ بجوارحك. فقال: لِمَ لا، والله ما عصيتُ الله بواحدة منها قط».

* وقال ابن دقيق العيد (رحمه الله): ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً منذ أربعين سنة إلا وأعددت له جوابًا بين يدى الله (عز وجل).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): إنى إلى الآن أُجدِّد إسلامى كل وقت.

- وهكذا تكون الاستقامة على الطاعة.. فأهل الاستقامة هم الذين تنزل عليهم الملائكة عند الموت لتبشرهم بجنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر.

الإكثار من ذكر الموت :

فالإكثار من ذكر الموت يردع عن المعاصى ويُلَيِّن القلب القاسى. ومن أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

ومما يؤثر فى النفس من مشاهد الموت رؤية المحتضرين فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد.

دخل الحسن البصرى على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت» (صحيح الجامع: ١٢١٠).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ سُئل: أى المؤمنين أكيس، قال: «أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس» (السلسلة الصحيحة: ١٣٨٤).

وقال الحسن البصرى: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذى لُب فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها.

وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

قال ابن مسعود رضى الله عنه: السعيد من وُعظ بغيره، وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: إذا ذُكر الموتى، فعد نفسك كأحدهم.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن

حياتك لموتك (أخرجه البخارى).

* أخى الحبيب: إن المؤمن يذكر الموت دائمًا لأنه موعد لقاء الحبيب وهو لا ينسى موعد لقاء حبيبه (جل وعلا)، ولذا تراه يشتاق إلى الموت ليخرج من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين.. ولذا قال معاذ بن جبل رضى الله عنه عند موته: حبيبٌ جاء على فاقة.

فذكر الموت يجعل العبد دائمًا فى طاعة الله، ومن ثَم يقوده إلى حُسن الخاتمة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهى نور فى القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعد الله فى هذه لأوليائه وفى هذه لأعدائه فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السماوات فأحاط بهم وقد جاء الله وقد نُصب كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت الأرض بنوره ووُضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء، وقد نُصب الميزان وتطايرت الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كثب وكثر العطاش وقل الوارد ونُصب

الجسر للعبور ولُزَّ الناس إليه وقُسمت الأنوار دون الظلمة للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضًا تحته والمتساقطون فيها أضعاف الناجين فينفتح في قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يُريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها).

الصـدق:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

قال ﷺ: «وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا» (أخرجه مسلم)،وتالله إن تلك المنزلة لا يوفَق إليها إلا من أراد الله به خيرًا فى دينه ودنياه، وإلا لمن علم الله أنه سيموت على الإيمان والصدق.

وهذا مثل قول النبى ﷺ فى أهل بدر: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (أخرجه مسلم). وبالفعل فقد ماتوا جميعًا على التوحيد.

* عن شداد بن الهاد رضى الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى

به النبى ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبى ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمٌ قسمه لك النبى ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك» قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمى ها هنا، وأشار إلى حلقه - بسهم فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو، فأُتى به النبى ﷺ يحمل قد أصابه السهم حيث أشار. فقال النبى ﷺ: «أهو هو»، قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه».

ثم كفَّنه النبى ﷺ فى جُبة النبى ﷺ ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا فقُتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك» (صحيح الجامع: ١٤١٥).

- يقول «أنس بن مالك» غاب عمى «أنس بن النضر» عن قتال يوم بدر فقال غبت عن أول قتال مع رسول الله ﷺ لئن أشهدنى الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون - انهزموا - فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل هؤلاء

- يعنى المشركين - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - ثم مشى بسيفه فلقيه (سعد بن معاذ) فقال: أى سعد،والله إنى لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قُتل، فقال سعد يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس ابن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم،فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه - رؤوس الأصابع - قال أنس فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً . . . . ﴾ نزلت فيه وفى أصحابه (متفق عليه).

- وفى رواية أنه لما شاع خبر مقتل النبى ﷺ انهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار فى نفوس كثير من أصحاب النبى فتوقف منهم مَن توقف عن القتال وألقى أسلحته مستكيناً ومر بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -

يعنى المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس واها لريح الجنة يا سعد إنى أجده دون أُحد... ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم (متفق عليه).

فهذا أنس بن النضر رضى الله عنه يقوده صدقه إلى تلك الخاتمة السعيدة فيجد ريح الجنة قبل أن يقاتل.

* بل قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» (أخرجه مسلم).

وهكذا فإن العبد إذا صدق مع الله فإن الله يحفظ عليه إيمانه ويثبت قلبه على التوحيد ويرزقه حُسن الخاتمة.

(٦) حسن الظن بالله (جل وعلا):

وهذا من أعظم أسباب حُسن الخاتمة.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدى بى، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر» (صحيح الجامع: ١٩٠٥).

* وعن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن

بالله» (أخرجه مسلم).

* وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه، وإذا كره لقائى كرهت لقاءه»

(أخرجه البخارى)

* وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت، فقال له: «كيف تجدك؟»، قال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمّنه مما يخاف»

(السلسلة الصحيحة: ١٠٥١).

والرجاء عند الموت أفضل؛ لأن الخوف سوط يساق به، وعند الموت يقف البصر فينبغى أن يتلطف به، ولأن الشيطان يأتى حينئذ بسخط العبد على الله فيما يجرى عليه، ويخوفه فيما بين يديه، فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان التيمى لابنه عند الموت: يا بنى! حدثنى بالرخص، لعلىّ ألقى الله تعالى وأنا أُحسن الظن به.

- قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: «إنما العالم الذى لا يقنّط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم مكر الله».

- ويقول ابن مسعود رضى الله عنه: «ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر».

- وروى أن مجوسيًا استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فلم يُضفه وقال: إن أسلمت أضفتك فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم منذ تسعين سنة أطعمه على كفره فسعى إبراهيم عليه السلام خلفه فردّه وأخبره فى الحال فتعجب من لطف الله تعالى فأسلم.

- فهذه الأشياء والأخبار هى التى تجتلب بها روح الرجاء إلى قلوب الخائفين واليائسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغى أن يسمعوا شيئًا من ذلك إلا قليلاً لئلا يغتروا بحلم الله فيجترئوا على محارم الله.

- وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار»

(متفق عليه)

بل هذا رجل من بنى إسرائيل يقص النبى ﷺ قصته فيقول: «إن رجلاً حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مُتّ فاجمعوا لى حطبًا كثيرًا جزلاً ثم أوقدوا فيه نارًا حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتُحشت - فاحترقت - فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يومًا راحًا فاذروها فى اليم.. ففعلوا ما أمرهم فجمعه الله وقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك فغفر له».

وفى رواية: «فجمعه الله فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك فتلقاه برحمته» (متفق عليه).

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يخرجُ من النار أربعةٌ يُعرضونَ على الله عز وجل فيأمرُ بهم إلى النار فيلتفتُ أحدهم فيقولُ: أى ربِّ قد كنتُ أرجو إن أخرجتنى منها أن لا تعيدنى فيها فيقول: فلا نعيدك فيها» (أخرجه مسلم).

- فيا أخى المسلم أَحسِن الظن بالله ولا تموتَن إلا وأنت تحسن الظن بالله فهو حبيبك وهو راحمك وهو ربك وهو رازقك.

فلا ترجُ غيره ولا تطمع فى رحمة مَن سواه والجأ إليه وتب إليه فإنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الأوابين.

- والجأ إليه سبحانه وتعالى وقل بلسان الحال والمقال:

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاى ما أجدُ

فقلت يا أملى فى كل نائبة
ومَن عليه لكشف الضر أعتمدُ

أشكو إليك ذنوباً أنت تعلمها
مالى على حَملها صبرٌ ولا جَلَدُ

وقد مددت يدى بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مُدّت إليه يدُ

فلا تردّنها يا رب خائبةً
فبحر جودك يروى كل من يردُ

(٧) التوبة:

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا

عسىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨).

فعن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعينَ نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعةً وتسعينَ نفساً، فهل له من توبة، فقال: لا. فقتله فكمَّل به مائةً ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجُلٍ عالـمٍ، فقـال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحولُ بينه وبين التوبةِ؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرضُ سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاهُ الموتُ، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكةُ الرحمة: جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكةُ العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطُّ، فأتاهم ملكٌ في صورة آدميٍّ فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له... فقاسوه فوجدوه

أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكةُ الرحمة. قال قتادة: فقال الحسنُ: ذُكرَ لنا أنه لما أتاه الموتُ نأى بصدره. وفى رواية: «فأوحى الله إلى هذه: أن تقربى، وأوحى إلى هذه: أن تباعدى. وقال: قيسوا ما بينهما فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له»

(أخرجه مسلم)

(فسبحان الله) يُسخِّر الله عز وجل الأرض كلها بجبالها وأنهارها وكل ما عليها لكى تتحرك من أجل تائبٍ واحد فكيف لو تاب المسلمون جميعاً؟!!!

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»

(صحيح الجامع: ١٩٠٣)

وقال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»

(صحيح الجامع: ٣٠٠٨)

فمن تاب ومات على تلك التوبة فقد رزقه الله حُسن الخاتمة؛ لأنه يُبعث تائبًا يوم القيامة من كل الذنوب.. كما قال ﷺ: «من مات على شىء بعثه الله عليه» (صحيح الجامع: ٦٥٤٣).

* وأما عن شروط التوبة فهى ستة:

١ - الإقلاع عن الذنوب.

٢ - الندم على فعل تلك الذنوب.

٣ - العزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

٤ - الإخلاص في التوبة.

٥ - التحلل من المظالم.. لقوله ﷺ: «من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات» (أخرجه البخاري).

٦ - التوبة قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها: قال ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»

(أخرجه مسلم)

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»

(صحيح الجامع: ١٩٠٣)

(٨) الدعاء:

وذلك بأن تتوجه إلى الله (عز وجل) بالدعاء وتبكي وتتذلل بين يديه سبحانه بأن يثبت قلبك على الإيمان وأن يرزقك حُسن

الخاتمة.

فها هو حبيبك ﷺ كان لا يفتر لسانه عن هذا الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك» (صحيح الجامع: ٧٩٨٧).

وها هو الحق (جل جلاله) يعلمنا ويحثنا على أن ندعو بهذا الدعاء العظيم ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

فاعلم أخى الحبيب أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه فالجأ إلى الله فى كل وقت وارفع أكفّ الضراعة إلى الملك قائلاً: اللهم إنى أبرأ من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك ومن التسليم إلا لك ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرضا إلا عنك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا فى طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين.

فتوجه إلى الله (عز وجل) بالدعاء فى ثلث الليل الأخير أن يرزقك حُسن الخاتمة وأن يكرمك بصحبة النبى ﷺ فى الجنة، وأن لا يحرمك من نعمة النظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

(٩) قصر الأمل والتفكر فى حقارة الدنيا:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠)

وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا» (صحيح الجامع: ٣٤١٤).

فالمؤمن يعلم يقينًا أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وأنه سينسى كل شقاء بغمسة واحدة فى جنة الرحمن (جل وعلا)، ولذلك فهو لا يتعلق قلبه بأى شىء من حطام الدنيا، بل يمسى ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار فهو يعلم يقينًا أنه لا راحة إلا فى جنة العزيز الغفار.

واعلم أن السبب فى طول الأمل شيئان:

أحدهما: حب الدنيا، والثانى: الجهل.

أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها

وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأمانى الباطلة، فيمنى نفسه أبدًا بما يوافق مراده من البقاء فى الدنيا.

وأصل هذه الأمانى كلها، حبُّ الدنيا والأنس بها، والغفلة عن قول النبى ﷺ: «أحبب ما شئت فإنك مفارقه»

(صحيح الجامع: ٧٣)

السبب الثانى: الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب.

* والناس متفاوتون فى طول الأمل تفاوتًا كثيرًا، ومنهم من يأمل البقاء إلى زمان الهرم، ومنهم من لا ينقطع أمله بحال، ومنهم من هو قصير الأمل.

وعن إبراهيم بن سبط قال: قال لى أبو زرعة: لأقولن لك قولاً ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتنى نفسى أن أرجع إليه.

وقيل لبعضهم: ألا تغسل قميصك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك.

وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه ففى

«صحيح البخارى» عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (أخرجه البخارى).

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»

(صحيح الجامع: ١٠٧٧)

وقال عمر رضى الله عنه: التؤدة فى كل شىء خير، إلا ما كان من أمر الآخرة.

وكان الحسن يقول: عجبًا لقوم أُمروا بالزاد، ونودى فيهم بالرحيل، وحُبس أولهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون.

وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن، فكان ابن عمر يقوم فى الليل فيتوضأ ويصلى، ثم يغفى إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى، ثم يغفى إغفاء الطير، ثم يقوم يصلى، يفعل ذلك مرارًا... وكان عمير بن هانئ يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة، وقال أبو بكر بن عياش: ختمت القرآن فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

* فمن انشغل بآخرته عن دنياه كانت همته فى الطاعة

عالية... وهذا من أعظم السُبل إلى حُسن الخاتمة.

(١٠) البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

وأخيرًا فإن من أسباب حُسن الخاتمة: الخوف من سوء الخاتمة والبُعد عن أسبابها «وهى مذكورة بالتفصيل فى كتيب آخر بعنوان الخوف من سوء الخاتمة».

أما عن أسباب سوء الخاتمة فهى:

١ - فساد المعتقد والانغماس فى البدع.

٢ - النفاق ومخالفة الباطن للظاهر.

٣ - التسويف بالتوبة.

٤ - طول الأمل وحب الدنيا.

٥ - تعلق القلب بغير الله.

٦ - إلف المعاصى والإصرار عليها.

٧ - الانتحار واليأس من رحمة الله.

٨ - مصاحبة أهل الفساد.

٩ - عدم الاستقامة على الطاعة.

خاتمة السعادة للأنبياء والصحابة والتابعين

وها هى صور مشرقة من حُسن الخاتمة للأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم) الذين اصطفاهم الحق (جل وعلا) وصنعهم على عينه... والصحابة الذين حملوا أمانة هذا الدين العظيم للكون كله... والتابعين الذين ساروا على نهج الحبيب ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم).

موت النبيين (عليهم الصلاة والسلام)

• آدم عليه السلام :

* عن أُبىّ بن كعب رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «لما تُوفى آدم غسّلته الملائكة بالماء وترًا، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم فى ولده» (صحيح الجامع: ٥٢٠٧).

• موت خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام):

فى كتاب «فتح البارى» لابن حجر: أتى ملك الموت إبراهيم (عليه السلام) ليقبض روحه، فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله، يعنى الله خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله، وهل الخليل يقبض روح خليله؟

فقال المَلَك: وهل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام فقُبضت روحه».

• موت الحبيب ﷺ:

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبيّ يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة».

قالت: فلما كان فى مرض النبى ﷺ الذى قُبض فيه، أخذته بُحَّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ (النساء: ٦٩)، فعلمت أنه قد خُيِّر» (أخرجه البخارى).

* وعن أنس رضى الله عنه: «لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكربَ أبتاه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا

على رسول الله ﷺ التراب؟!» (أخرجه البخاري).

• عثمان بن عفان (رضى الله عنه):

* عن مسلم أبى سعيد مولى عثمان: إن عثمان بن عفان رضى الله عنه أعتق عشرين مملوكًا له، ودعا بسراويل فشدّها عليه - ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام- وقال: إنى رأيت رسول الله ﷺ البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقُتل وهو بين يديه

(قال الهيثمى: رواه عبد الله وأبو يعلى ورجالهما ثقة)

• علىّ بن أبى طالب (رضي الله عنه):

عن محمد بن على بن أبى طالب أن عليًا لما ضُرِب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قبضه الله.

• سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه):

عن ابن شهاب الزهرى أن سعد بن أبى وقاص لما حضرته الوفاة، دعا بخَلَق جبة له من صوف، فقال: كفِّنونى فيها، فإنى لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنتُ أُخبِّئها لهذا اليوم.

وعن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبى فى حجرى،

وهو يقضي. فبكيت، فرفع رأسه إليّ، فقال: أي بنيّ ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة.

قال الذهبي: صدق والله، فهنيئًا له (السير: ١/ ١٢٢).

مرحبًا بالموت مرحبًا

* عن عمرو بن قيس: أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ قال: فقيل: لم نصبح، حتى أُتِيَ فقيل له: قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار. مرحبًا بالموت. مرحبًا، زائر مُغِبّ حبيب جاء على فاقة، اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكب عند حِلق الذكر».

غدًا نلقى الأحبة... محمدًا وحزبه

* عن سعيد بن عبد العزيز: «قال بلال حين حضرته الوفاة: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه. قال: تقول امرأته: وابلالاه. قال: يقول هو: وافرحاه».

أمنية غالية

* عن سعيد بن أبى وقاص أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله فخلوا فى ناحية فدعا عبد الله ابن جحش فقال: «يارب إذا لقيت العدو غدًا فلقّنى رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده، فأقاتله فيك ويقاتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله: مَنْ جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفى رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد: لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان فى خيط»

(قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)

(جعفر) يطير مع الملائكة فى الجنة

ففى غزوة مؤتة استُشهد جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) وثلاثة آلاف من الأبطال والشجعان، من حملة القرآن، أمام عبَدة الصُلبان، عليهم لعائن الرحمن، فى ذلك الزمان، وفى كل أوان.

فالتقى الناس فاقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قُتل.

اقتحم جعفر عن فرس له شقراء، ثم عقرها؛ فكان جعفر أول المسلمين عَقَرَ فى الإسلام، ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول:

يا حبَّذا الجنة واقترابها طيبةً وباردٌ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علىّ إنْ لاقيتها ضِرابها

قال ابن هشام:

وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفرًا أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قُتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء.

وعن نافع أن ابن عمر أخبره: وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيلٌ فعددتُ به خمسين طعنة وضربةٍ، ليس منها شىءٌ فى دُبُرِه، يعنى فى ظهره» (أخرجه البخارى).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره» (صحيح الجامع: ٣٣٥٨).

«وكان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين» (أخرجه البخارى).

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة».

أول شهيد من الأنصار

* عن أنس قال: قال النبى ﷺ يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». فقال عمير: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول: بخٍ بخٍ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه، فإنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل (رواه الحاكم بسندٍ صحيح).

(البراء) يقسم على الله فيبرّ الله قسمه

قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذى طِمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء بن مالك» (صحيح الجامع: ٤٥٧٣).

وعن أنس مرفوعًا قال: «كم من ضعيف متضعف ذى

طمرين لو أقسم على الله لأبرَّه منهم البراء بن مالك».

فلما كان يوم فتح «تُستر» وقد تحصَّن «الفُرس» فى إحدى القلاع فلم يستطع المسلمون فتحها فى أول الأمر، فذهبوا إلى البراء بن مالك وقالوا له: أقسِم يا براء على ربك، فقال: «أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيى ﷺ فمُنحوا أكتافهم وقُتل البراء شهيدًا» (رواه الحاكم بسندٍ صحيح).

شمس الدنيا... الإمام الشافعى

قال الربيع بن سليمان: دخل المزنى على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقال له: كيف أصبحت يا أستاذ؟

فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخوانى مفارقًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا، ولسوء أعمالى ملاقيا.

قال: ثم رمى بطرفه نحو السماء واستعبر ثم أنشأ يقول:

إليكَ إلـه الخلــق أرفَـعُ رغبتـى
وإن كنتُ ياذا المنِّ والجُود مجرمـا
ولَمَّا قسى قلبـى وضاقـت مذاهبُهُ
جعلتُ الرجا منى لعفـوك سُلَّمـا

تعاظمنــي ذنبــي فلمَّــا قرنتُـهُ
بعفوكَ ربى كــان عفـوك أعظمــا
ومـا زِلـتَ ذا عفو عن الذنبِ لم تَزَلْ
تجُودُ وقـد أغـوى صفيــك آدمَــا
فـإن تعـف عـنى تعف عن متمــردٍ
ظلـومٍ غشــوم مــا يزايــل مأثمَــا
وإن تنتقـم منى فلسْــتُ بآيــسٍ
ولو أدخلـتَ نفسى بجرمى جهنمـا
فجرمى عظيمٌ من قديـم وحـادث
وعفـوك يـاذا العفـو أعلى وأجسما

ماتت فرحًا برؤية الكعبة

* عن عبد العزيز بن أبى رواد قال: دخل قوم حُجَّاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربى؟ فيقولون: الساعة ترينه فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما تَرينَه؟ فخرجت تشتدّ وتقول: بيت ربى بيت ربى. حتى وضعت جبهتها على البيت، فوالله ما رُفعت إلا ميتة (صفة الصفوة: ٢/ ٤١٥).

كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون

وها هى السيدة الربانية الصالحة نفيسة، ابنة الحسن بن زيد العلوية الحسنية: كانت - رحمها الله - من الصالحات، زاهدة نقية تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله عز وجل، حتى قيل لها: «ترفقى بنفسك» لكثرة ما رأوا منها، فقالت: «كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟»، حجّت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره.

تُوفيت - رحمها الله تعالى - وهى صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قل لمن ما فى السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة﴾ (الأنعام: ١٢).

يختم القرآن فى قبره قبل أن يموت

عن عبد الله بن مسلم العبدى قال: قال مطرف لما حضره الموت: اللهم خِرْ لى فى الذى قضيته علَىَّ من أمر الدنيا والآخرة. قال: وأمرهم بأن يحملوه إلى قبره فختم فيه القرآن قبل أن يموت.

النور يخرج من قبره

وحكى الشيخ القحطانى: أنه أنزل رجلاً فى قبره فى ليلة ظلماء شديدة الظلمة، وكان الجو غائمًا، وكان هذا الرجل من الدعاة، وقد مات ليلة الجمعة بعملية جراحية وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله)، فقد كان له محاضرة فى الجامع الكبير الذى أحضر إليه الميت، وبعد المحاضرة ذهبنا للمقبرة، وطلبنا من أحد الإخوة أن يأتينا بسراجٍ، أو كشاف لكى ننور القبر، ولكنه أبطأ علينا، فأخذت أعسُ اللحد بيدى فقلت للإخوة: أعطونا الميت، فلما سللته من جهة الرجلين وضعته فى قبره فككت تلك الأربطة وكشفت عن وجه الميت، وإذا بالمصابيح والأنوار خرجت من ذلك القبر، وأنار القبر، ورآه كل من كان معى، وكانت رائحة المسك تخرج من ذلك القبر، ثم ذكر الشيخ بعض من حضروا وشاهدوا ذلك الأمر.

مع الذين أنعم الله عليهم

وقال محمد بن راشد: رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت: أليس قد مُتَّ؟ قال: بلى. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب. قلت: فسفيان الثورى؟ قال: بخٍ بخٍ ذاك ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا﴾.

أهلاً بصديقى وحبيبى

قال فى تذكرة الإخوان: حدثنى صاحب لنا أنه مات رجل فى قريتهم، وكان مؤذنًا للقرية ولا يأخذ على ذلك أجرًا، وكانت له مزرعة لا يمنع أحدًا الأكل منها لا من إنسان ولا من حيوان، وكان كثير الصدقة، فمرض قبل موته لمدة أربعة أيام، وعند احتضاره اجتمعنا، وكان لا يكلمنا ويردد: استغفر الله لا إله إلا الله، وفجأة رفع يده فى الهواء كأنه يصافح أحدًا وهو يقول: أهلاً بصديقى وحبيبى ثم مات (رحمه الله).

ومسك الختام (أمى الحبيبة)

كانت أمى (رحمة الله عليها) عابدة زاهدة لا تطمع فى أى شىء من حُطام الدنيا الفانية... كنت إذا رأيتها تذكرت قول الله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾.. كانت تصلى قيام الليل على الرغم من شدة مرضها، وكانت تحب الخير لكل من حولها، وكان لسانها لا يفتر عن ذكر الله.

مات أبوها وهى فى بطن أمها، وماتت أمها بعد ولادتها بشهر واحد فتجرعت غُصص اليُتم، وذاقت من العذاب ألوانًا، ولم يَكن لهَا أخٌ أو أخت فعاشت كل أنواع الغُربة.

وعلى الرغم من ذلك كان لسانها لا يفتر عن كلمة «الحمد لله»... وكانت تدعو دائمًا ألا تطول عليها السكرات، فلما جاء اليوم الموعود سمعت أذان العصر فقامت لتتوضأ فما غسلت إلا كفها ووجهها، فقالت لها ابنة أختى: «يا ستى أنت ما توضأتى» فقالت لها أمى: «والله يا ابنتى ما تركونى حتى وضؤنى» فتعجبت ابنة أختى!! وقامت أمى لتصلى العصر وهى جالسة - لشدة مرضها - ثم لما أرادت أن تكبِّر مرة أخرى قالت لها ابنة أختى: «يا ستى ليس هناك صلاة بعد العصر». فقالت لها أمى: «بل هناك صلوات كثيرة بس يا ريت الوقت يسمح» ودخلت فى الصلاة وجاءتها السكرات وماتت وهى تصلى وكنا نلقّنها كلمة: «لا إله إلا الله» فكانت تقولها وظلت ترددها حتى ماتت.

وإذا بالمفاجأة السعيدة: فعلى الرغم من كِبر سنها إلا أن وجهها عاد ناصعًا وكأنها ابنة عشرين سنة، وإذا بالوجه تعلوه ابتسامة جميلة وكأنها ترى الجنة فى تلك اللحظة. وإذا بالبشائر العظيمة - التى لا أستطيع أن أذكرها - تخبر بها الأخت التى قامت بتغسيلها... وإذا بالصالحين يجمعهم الله على غير موعد ويمتلئ المسجد للصلاة عليها، وذهبنا إلى القبر ونزلت لأدفنَ حبيبتى - التى نزف قلبى بموتها الدماء بدل الدموع - وإذا

برائحة جميلة تصدر من قبرها.

وتتوالى البُشريات العظيمة فيعلم العلماء والدعاة فى مصر بخبر موت أمى فيدعون لها فى صلاة الجمعة وكان على رأسهم فضيلة الشيخ/ محمد حسان، وأبو إسحاق الحوينى، ومحمد عبد المقصود، وفوزى السعيد، وسيد حسين العفانى وغيرهم من علماء الأمة - جزاهم الله خير الجزاء - فكان هؤلاء الأفاضل يدعون لها وآلاف البشر يؤمِّنون على دعائهم... فرأيتها فى المنام فى تلك الليلة وهى تقول: جزاك الله يا بنى خير الجزاء على كل الخير الذى وصلنى.

فأسأل الله أن يرحم أمى رحمة واسعة - وكل موتى المسلمين - وأن يجمعنى بها فى جنته ومستقر رحمته.

وأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقني وإياكم حُسن الخاتمة وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُرر متقابلين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

• محتويات الكتاب •

• صــــدر حديثـــــاً •

٤٠ صفة
من أخلاق النبى

جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧